القصيدة ناشفةٌ

لا قناديل فيها ولا أسئلة

عز الدين المناصرة

الوحوشُ تغَازلني في بهاء السّطوحْ
الرَّذاذُ الشّفيفُ يُعاتبني في مَسارب غابتك الموحشهْ
النّشيدُ القديم الّذي كنتُ دَنْدَنْتُهُ في الصّباح
عندما مرَّت الفتنةُ الطّافحهْ
لم أجد أثراً لملامحه قرب باب الحديدْ
الطّيور الّتي التقطتْ في الهجير بذورَ الأقاحْ
غَرَّبتْ باتجاه الجنوب الّذي كان يوماً ـ شمال الجنوبْ
ما الّذي سوف أَمنح للوردة الجائعهْ؟!!
ما الّذي سوف أُعطي لطفلة هذا الشّهيدْ؟!!
ناشفٌ غضبي
جارحٌ عَتَبي ناحلٌ قَصبَي
مازجٌ خَبَبي: فاعلنْ فَعِلُنْ.. وَفعولنْ سأحشرُهُا
في المحيط الّذي طوَّقَ الدّائرهْ
ثمَّ لو شئتُ أن أَتبعَ الخيطَ والخطَّ في رحلةِ القافلهْ
لوجدتُ الخليل يعضّ نواجذَهُ ندماً.. أيّها الشّعراءْ
تعالوا معاً نكسر الدّائرهْ
تعالوا نحطّمها شقْفةً، شقْفةً ثمّ نرمي بها
في حقول العنبْ
القصيدةُ رقصٌ على صهْوة الخيل في اللّيل قرب جرار
النّبيذْ
القصيدةُ بوْحٌ أنيقٌ لرُمّانها النّاضج الوجنتينْ
القصيدة وحشيةُ القطّة الغامضة تتعربشُ في ذيل فستانها
وتخرمشُ سور المناديل في مَرْمَرِ السّاعدينْ
القصيدةُ شيءٌ يقولُ ولكنّه لا يُقالْ
القصيدةُ أرملةٌ فارقتْ بَعْلها في ذُرى بهجة الاحتفالْ
القصيدةُ هذا الفراق الّذي في دموع المطار
أو لقاءُ صديق عتيقْ
فجأةً في مقاهي القِطارْ
القصيدة تفّاحتان تنامان في خجلٍ في ثنايا القميصْ
القصيدةُ «قُدسٌ» تراها العيون من الغور مثل العروسْ
نشتهي أن نبوس القباب ولكنّها لا تبوسْ
القصيدةُ زعلانةٌ مثل أسوارها النّاطرهْ
القصيدة مفترقٌ ومُفارقَةٌ ساحرهْ
تشعلُ الحربَ في الدّائرهْ

* * *

الشّرايين ناشفةٌ ثمَّ محبرتي ناشفهْ
الحَمام المُحجَّبُ يكرعُ كأس نبيذٍ على
شرفة الفندق الشّبقيّ على حافة الغورِ

←

قرب نخيل المساءْ
الحمام المحجّبُ يخلع شال الحريرْ
الحمام المحجّبُ يسبح في زمهرير الشتاءْ
الحمام المحجّبُ يلتقط القشّ ثمّ يطير
إلى خشب الجُلْجُلَهْ
يا «ابن مُقْبل» هَيِّئْ لهذا الرّخامْ
كي يثرثر بعضَ الكلامْ
مرّةً قمتُ أمسكتُ سلسالها
وَلْوَلَتْ ثمَّ صاحتْ: وَلَهْ!!!
تعال معي خلف بلّوطةٍ في الخلاءْ
قلتُ إنّي أخاف إذا شافني سيّدُ القافلهْ
القصيدةُ غامقةٌ في العيونْ
القصيدةُ ساكنةٌ كالرسوم العتيقة في «مأدبا»
القصيدةُ مُشمسَةٌ مثل فاكهة الغيم،
هذي أريحا الّتي أصبحتْ نجمةَ الأرجوَانْ
لا مكان لها في المكانْ
وأنا نبعةٌ نشفتْ فوق كوْم قصائدكِ الذّابلهْ
هل أحطّمُ هذي المداليل، هذي الدّوالْ
غارقاً في مُشَعْشَعَةِ الكرم، أشرب صمتَ الظّلالْ؟!!
أم أُداري زماني وأُخفي السّؤالْ؟
العلامات ليست كهوفاً لراعية شوَّبتْ
من هجير الأناشيد، قالت: أراكْ
ثمَّ مَلّستُ فوق ضفائرها السّود
فارتعشتْ قُبَّرَهْ
القصيدةُ مارقةٌ بكشاكشها وخلاخيلها، فتنةُ البَلْبَلَهْ
صاحت امرأة الملح: احذرْ ولَهْ!!!
القصيدةُ ناشفةٌ مثلَ قشِّ الحقولْ
البلاغةُ ساكنةٌ في غِلالكَ يا بحرُ، والملح في بَحَّةِ النّائحهْ
القصيدةُ ناشفةٌ لا قناديل فيها ولا أسئلهْ
القصيدةُ جارحةً كانت البارحهْ
القصيدةُ صارتْ بلا كهرباءْ
ما الّذي يُشعل الشّعراء سوى سَفَر في المحيطات
في قاع قاع الزّمانْ؟
ما الّذي يقتل الشّعراءَ سوى حاجزٍ من أقاويل أجدادنا الرّاسخهْ؟
ما الّذي يُقْرفُ الشّعراء سوى خطبةٍ وَسِخَهْ؟
ما الّذي يُلهب الشّعراء إذا مرَّت الفتنةُ النّاعسهْ
فوق هودجها تحرق الأرخبيلْ
سوى أنّها تفتح المعركهْ؟
ما الّذي يزعج الشّعراء سوى أنّهم لم يذوقوا نبيذ الخليلْ
ولم يرضعوا الماءَ والعشبَ والنّافذهْ؟
القصيدةُ ناشفةٌ أيّها المهرجان!!!

* * *

لم أعُدْ قادراً أنْ أُلامسَ هذا السّراب الجميلْ
لم أعُدْ قادراً أن أُجاملَ هذا القرنفل في التلّة العاليهْ
لم أعدْ قادراً أن أُسامح عوسجةً مزّقتْ خطأً صُرَّتي
في حنايا الطّريقْ
المدينةُ لا صَبْر فيها سوى الشّوك والنَرْفَزَهْ
الحداثةُ فيها رخامُ القبورْ
ضَجيجٌ يقولُ ولكنَّهُ قَزْقَزَهْ
لم أعدْ قادراً أن أحوّل نهر الخديعة عن زحفه في الرّمالْ
لم أعد قادراً أن أرى عشبةً في الرّبيعْ
شجر الصّيف بين نعاج الغيوم همومْ
لم يَعُدْ يندف الثّلج يا كستناء الشتاءْ
تلك روحي.. بقايا رسومْ
لم أعُدْ قادراً أن أقولْ:
نجمةٌ في سماء المحيط تُنقّطني بالرّمادْ

نَيْزَكٌ يتشظّى على مُدُنٍ باليهْ
الهَوِيَّةُ مشروخةٌ في ثنايا السّؤالْ.
لم أعُدْ قادراً أن أكيّف روحي
على خشب الطّاولهْ
نِشارةُ روحي تسيلُ على الماء في منحنى غَسَقٍ
كالحٍ مثل حبر عتيقْ
تلكَ روحي الّتي خرجتْ عن مسار الخيول إلى الهاويهْ
خوختٌ من وَجَعْ
كرمةٌ قرب دير وحيدٍ على المرتفَعْ.
الّذين رأوا في السّباق الأخير
لم يروا أنّني شفتُ قبل ولادتهمْ ـ رعشَةَ الفاجعهْ
كنت طيراً وحيداً يرفرف فوق القطيعْ
هل أعاتبهمْ واحداً واحداً؟ . أيّها الشّهداءْ
لم يعد في دمي كهرباءْ
كنتُ قسّمتُ روحي . . كتفّاحة ذابلهْ
غرفةً، غرفةً، ثمّ وزّعتُ ضوئي
غمرتُ السّطوحْ
وِفْقَ خارطةٍ أكل العِثُّ أطرافَها الباردهْ
حيث دقّقتُ في غضب البحر، كيف رآهُ النُحاهْ
قبل تحنيطهِ بالبهارْ
لا أنا قادرٌ أن أُعيد إليه البهاءَ القديمْ
لا أنا قادرٌ أن أبوحْ
أنفخَ الرّوحَ في صدرهِ المضطربْ
قمتُ طرّزتُهُ بوحوش المحيطْ
ثمَّ نقّطتُهُ بالرصاصيّ حين أبى أن أُنَقّطَهُ
زرقةً، ثمّ أوصلتُ بالخيط منحنيات الخطوطْ.
أيّها الشّعراءْ!
كلُّ توقيعةٍ كنتُ فجرّتُها لم تصلْ
لم يكن ميّتاً بحرُ كنعان قبل هطول غيومِ الطّحينْ

أريحا تشاطره التّمر واللّوز والموز في شرفات الرّحيلْ
وأنا غارقٌ في دمي أرقبُ الزّخرفهْ
فوق حيطانهمْ في سماء النّخيلْ
لئلاّ تميلَ، لئلاّ تميل، لئلاّ تميلْ،
آخر السّطر أرشقهم نَقْفَةً حارقهْ
أُسوّي السّطور لكي تستقيمْ

* * *

[طلقةٌ، طلقتانْ
للعريس الّذي سوف يبصم عقدَ الزّواجْ
طلقةٌ، طلقتانْ
للبعير الّذي في الفراشْ
طلقةٌ، طلقتانْ
للرداءة تحتلّ هذا البياض الخَداجْ].
أيّها الأبيض الدّمويُّ انفجرْ
أيّها الأخضر الرّعويّ انفجرْ
أيّها الأزرق النّائم في حقل هذا النُّعاسْ
دُلّني بالعلامات في ليلة البرتقالْ
على حُزَم الضّوء في المنْعَرَجْ
علّني أتبخّرُ كالبحر، حيث السّكونْ
أو
أَعِدْني إلى الأبيض الدّمويّ لكي أنفجرْ
أعدني إلى الأبيض الدّمويّ لكي أنفجرْ
أعدني
إلى
الأبيض الدّمويّ
لكي أنفجرْ
طالت المسألهْ!
طالت المسألهْ!!
القصيدةُ ناشفةٌ لا قناديل فيها ولا أسئلهْ!!!

عمّان / الأردن